



لا توجد أوهام لدى المعارضة السورية، والشريحة الاجتماعية الواسعة وراءها، بأنّ هنالك من لا يزال متمسكاً برحيل الأسد عن السلطة في سورية، عملياً، ولا حتى أكثر الدول شراسةً ضده في السابق، مثل فرنسا وبريطانيا وأميركا وبعض الدول العربية.

لست، هنا، بقصد مناقشة ما إذا كانت هذه الدول الغربية في الأصل كانت جادة بإطاحة نظام الأسد (والجواب برأيي؛ لا، بل على النقيض كانت تخشى من انهياره المفاجئ واستسلام الإسلاميين الحكم، وتلخصت تلك الهواجس بسؤال اليوم التالي لسقوط الأسد)، لكنّها اليوم لا تصرّ دبلوماسياً، ولا في مفاوضاتها مع الروس، على رحيل الأسد من شروط العملية السياسية المقترحة، بقدر ما إنّ موقفها (هذه الدول) يمكن أن يوصف بأنه "غامض" وفضفاض.

على أرض الواقع، تغيرت الموازين فعلياً. ويمكن القول إنّ تحالف الروس والإيرانيين والنظام ربح الجولة العسكرية الأخيرة، وقلب المعادلة، حتى إنّ النظام بات يسيطر على ما يقارب من 80% من مساحة سورية، بعدما كان لا يسيطر على أكثر من ربع المساحة قبل عامين تقريباً!

ليست هنا المشكلة الحقيقة، بل المعضلة أنّ من يسيطر على باقي الأراضي عملياً هي قوى مصنفة دولياً إرهابية، ولا تنتمي للثورة السورية، إن لم تكن معادية لها، فما يزال جزء من الرقة ودير الزور وريفها بيد "داعش"، وإدلب بيد فتح الشام (جبهة النصرة سابقاً = القاعدة= مقاتلين محليين وأجانب)، أمّا الجيش الحرّ والفصائل الإسلامية الوطنية فتسقط على مناطق في درعا ومناطق في أرياف الشمال محدودة التأثير والنفوذ.

يطرح هذا وذاك السؤال الجوهرى في ما إذا كان يعني عودة سورية إلى ما كانت عليه قبل شهر مارس/ آذار 2011، أي عندما انطلقت الشرارة الأولى للثورة السورية؟ الجواب: لا، وهو أمر ليس فقط مستبعداً، بل يكاد يكون خيالياً، على أكثر من صعید. يتمثل الأول في الأوضاع الداخلية وموازين القوى في أوساط النظام وعلاقته بالروس والإيرانيين، والنفوذ الإيراني

الواسع المتنامي في سوريا، ما يعني إعادة هيكلة المعادلة الداخلية، مع تقلص الجيش السوري إلى أقل من النصف بكثير، واستنزاف موارده، ونضوب الخزان البشري الداعم له، وكذلك الحال بالنسبة لعلاقته بالقواعد الاجتماعية المتعددة. ويتمثل الصعيد الثاني في الاستراتيجيات الدولية والإقليمية، فعلى الرغم من عدم طرح شرط رحيل الأسد اليوم مفتاحاً رئيسياً للعملية السياسية، فإنَّ من الواضح، في المقابل، أنَّ القبول ببقاء الأسد، وعودة الأمور إلى ما كانت عليه، غير مقبول، ولا مطروح أوربياً وأميركياً، وهو سيناريو يعني الاستسلام والتسليم الكامل بانتصار الروس والإيرانيين، وهزيمة ليس المعارضة السورية فقط، بل الغرب والعرب أيضاً، وهو أمر سابق لأوانه.

ما نراه اليوم أتناً أمم حلم كردي متناهٍ في المنطقة، وعلى عتبة استفتاء تاريخي لإقليم كردستان العراقي (إن لم يُحيط في اللحظة الأخيرة)، وهو وإن لم يتمخض عملياً عن استقلال كردي معترف فيه، فإنَّ القضية الكردية أصبحت اليوم في عصر جديد ولحظة مختلفة، وفي سوريا على الأقل سيكون هناك شبه استقلال، أقرب إلى الحكم الذاتي.

يفكر الأميركيون جدياً بتطوير قواعدهم العسكرية في المناطق الكردية، وباعتماد الأكراد حلifa استراتيجية، وما يزالون يفكرون بأدوات استراتيجية لتجريم النفوذ الإيراني، وعرقلة طريق طهران إلى المتوسط برياً، ويحتفظون بمناطق في البايدية. وعلى الرغم من نجاح مسار أستانة العسكري (برعاية الروس) في تحقيق مناطق منخفضة التصعيد وإيجاد تنسيق روسي-إيراني-تركي، فإنَّ مسار جنيف السياسي ما يزال متعثراً، ما يعني عدم وجود توافق استراتيجي دولي وإقليمي حول مستقبل سوريا.

وكان وزير الخارجية الأميركية الأسبق، هنري كيسينجر، قد ذكر، في مقالٍ له، إنَّ الخيارات الأميركيّة والدولية مع صدام حسين بعد حرب الخليج في 1991 ثلاثة، إسقاطه، إعادة تأهيله، احتواه وإيقاؤه في القمقم، فتم اختيار الثالث. وهو السيناريو الذي سيسير على الأغلب مع الأسد، في المرحلة المقبلة، أي سيناريو صدام المحاصر بعد 1991، مع الفارق والاختلاف في المواقف الإقليمية والدولية، لكن جوهر المشكلة بين الحالتين أنَّ إعادة التأهيل مستبعدة، والعودة إلى سوريا في الجغرافيا السياسية كما كانت عليه مستبعدة، بينما هناك حالة ضعيفة داخلياً، مقطعة جغرافياً، وهشة عسكرياً وسياسياً، مع هويات داخلية فرعية متضاربة!

العربي الجديد

المصادر: